آراء

أميركا ونواقيس النسيان

أحمد عمر

حاول الإعلامي محمود مراد أن يفسّر الإرهاب المنسوب إلى المسلمين، وأخيرا إلى الإسلام على لسان الرئيس الفرنسي، بقرينة سينمائية أميركية. والسينما هي نص أميركا المقدس، فهوليود هي كعبة الأميركان، فتذكّرَ الأفلام الخمسة من سلسلة العميل جيسون بورن التي تتناول عالم المخابرات السرّي، ومؤامراته القذرة التي غالباً ما تزهق أرواح أبرياء لتحقيق أهداف سياسية أو مصالح شخصية. بطل الفيلم الفنان مات دامون، شاب تغيرت حياته، بعد أن أخضعته الاستخبارات لتجارب تطويع السلوك، ليتحوّل إلى آلة قتل واغتيال. رأى كاتب هذه السطور فيلماً وثائقياً إندونيسياً عن قتلةٍ ذكروا أنهم كانوا يقومون بالنيابة ضد الشيوعيين بعد جرعة من الأفلام الأميركية. وتذكرتُ وأنا أقرأ المنشور ارتداء أفراد تنظيم داعش اللون البرتقالي الخاص بسجون أميركا! ولوعهم الشديد بالإخراج السينمائي، وتلكما قرينتان، وثالثة في قرينة الانتقام، فالأفلام الأميركية هي أفلام انتقام.

ورأيت أن سلسلة بورن شديدة النمطية، ووجدت أيضاً أن السينما الأميركية، في نمطيتها، تشبه الأفلام الهندية، والتنميط تدمير للذاكرة أو على الأقل هو تنويم لها. وهناك فيلم «نظرية المؤامرة»، ليل جيبسون وجوليا روبرتس، وحكايته تشبه حكاية هذا الفيلم الذي يحذوه حذو النعل بالنعل، وهو أقدم منه بعقد، فكلا البطلين يتعرّضان إلى فقدان ذاكرة، ويجاهدان في محاولة معرفة أصلهما وهويتهما.

وكان المفكر الموسوعي عبد الوهاب المسيري، وهو أفضل دارس عربي للحياة الفكرية والثقافية الأميركية، صاحب «كتاب الفردوس الأرضي»، قد وجد شاعر أميركا، ولت ويتمان، مريضاً ومعادياً للتاريخ، وله ديوان اسمه «أغنية ذاتي»، والذات معادية للتاريخ. وبالعود إلى الأفلام الأميركية التي تجسد فقدان الذاكرة الأميركي كحبكة درامية، وأفلام أخرى تتذكّر ولكنها نسيان شامل، سنجد أنَّ بطل أفلام الكاوبوي الأميركي كائن نمطي، استمرّت بطولته لاحقاً بركوب الأميركي سيارة أو صحن فضاء، بدلاً من حصان، هو: دائماً غريب، بلا هوية، بلا أقارب، بلا أب، بلا أم، ليس له أهل سوى حيوان وآلة هما حصانه ومسدّسه، يأتي من مكان بعيد إلى مدينة أهم ما فيها هو صالون المشروبات والقمار، ثم يختفي في آخر الفيلم، في مغرب الشمس، ليس عنده فقدان ذاكرة، لكنه لا يتذكر سوى لحظته الحاضرة.

وفي الأفلام الأميركية تقع حسناء عابرة، مقطوعة تقريباً، في حب البطل، بلا أهل غالباً، مثله، تعاني من مشكلة، فيتصاحبان، ثم تتحرّش به، فيخجل لها من باب الإحسان إليها، أو لانشغاله بذاته، فالعاطفة والحاجة الجنسية عند البطل الأميركي عارضة، العائلة تذكّر، والفرد نسيان.

انشغل إعلامنا العربي بالصراع بين بايدن وترامب، ونسي التاريخ الذي يُكلفُ به العرب، فلم يغن المائدة الإعلامية بمقبلات، واكتفى بالوجبة الرئيسة، وهي إحصاء الأصوات. والحساب تجريد، والتجريد نسيان، وبعض الإفادات القانونية، وذلك نسيان أو إنساء، ومن النسيان أن نمطية الأفلام الأميركية تنشغل بالبطل وإنقاذ حبيبته، أو ابنته التي تعيش وحدها كما في فيلم قوة مطلقة، لكلينت إيستوود، فيقتل في طريق البحث عنها المئات، وننشغل معه بمصيرها مغفلين مصائر «الفكّة». ومن النسيان الأميركي أنها انخرطت في حرب خلال عقدين مع «طالبان» غرّمتها آلاف القتلى الأميركان ومليوناً من الأفغان، ولديها تجربة فيتنام المرّة، وقد نسيتها، فالأميركان يعانون من النسيان، ورؤساؤهم ضعاف الذاكرة. قال عزيز نسين في روايته زوبك: انتشرت الحضارة الأميركية عبر التدخين. والأصوب أنها انتشرت عبر الدخان، حتى نشمل مع السيجارة الحرب. وذكر آخرون أنها انتشرت عبر السينما، فهي فنٌّ أميركا الأشهر، ووسيلتها لخلب الألباب، فهي بلاد الحليب والعسل، تاريخها لا يجاوز ثلاثة قرون، فقد أباد الغزاة أصحاب التاريخ الأصليين جميعاً، ولم يبقَ منهم سوى عشائر صغيرة لتمثيل دور الأشرار في أفلام الكاوبوي والنسيان، السرعة ضد الذاكرة، أميركا أسرع بلد في العالم، هي بلاد الحب السريع، والأكل السريع، والبيت المعلب، والقنبلة النووية التي تقضي بسرعة على العدو.

في الأفلام المذكورة، يعود البطل مغسول الذاكرة إلى رشده، وهو رشد قصير، موضعي، رفضاً لقتل الأبرياء، وانتقاماً ممن دمروا ذاكرته، فلا بد من الانتقام. الأبطال الخارقون مثل سوبرمان والوطواط وسبايدرمان هم إما من كوكب آخر أو أبطال بلا آباء، وذلك أيضاً محو للتاريخ.

العرب يتذكّرون، والذكريات العظيمة قاتلة أحياناً.

لو كان ترامب مصرياً

عبد الحكيم حيدر

كان سيتم قبل الانتخابات الرئاسية بسنة أو سنتين تغيير الدستور نفسه، بحيث لا يبتّ في أي مسألة انتخابية رئاسية سوى في محكمة زنانيري. وتستمر مدة البتّ في الحكم في زنانيري، على الأقل، من أربع سنوات إلى ست، وحينئذ سيأخذ ترامب فترة الولاية الثانية بكل هدوء وروقان ودستورية لا تشوبها أي شائبة. أما لو أردت يا بطل «سكة اللِبَط في زنانيري» وهي موجودة والحمد لله، وتستطيع هذه «السكة» أن توصل ترامب إلى ست فترات رئاسية، ويصبح له شعره في المائة من عمره كما فعلوا بحسني مبارك، وإن حوكم بعد المائة لقتل مئات بسيطة من شعبه، فعندنا أيضا من القضاء من يقول له «براءة وعودوا إلى مقاعدكم».. ويصير فيما بعد شاهدا على رئيس منتخب من الشعب، ثم يعود سعيدا بكل أمواله الخارجية والداخلية إلى قصره.

أما، لو قدّر الله، وظهر له أي منافس في انتخابات الرئاسية، وهذا نادرا ما يحدث في مصر، لأنه بلد عتيد في الديمقراطية، وله سبعة آلاف سنة حضارة وعلوم وأوراق بردي وطب وتحنيط وعطور ووسيم السيسي وزاهي حوّاس، وأول برلمان في بلاد العرب وأول سكة حديد، أما لو أراد المنافس مثلا، أن يكتب اسمه في سجل المنافسين على سبيل الدعابة أو ترويج النكت، فعليه أن يأتي بطربوشه، مثل الشيخ أحمد الصباحي، ويعطي للمنافس صوته، ويأخذ نصيبه من فلوس حملة الرئاسة، ويذهب إلى مسجد السيدة نفيسة، أما لو «فتح صدره» نصف فتحة «كده وكده يعني»، مثل حمدين صباحي أيضا، وللإنسان كما قيل له النصيب من اسمه، فسوف يكون نصيبه من الأصوات، الثالث في الترتيب، بعد السيد الرئيس بالطبع (الفرعون) والأصوات التي جاءت باطلة.

أما لو فتح صدره كاملا، وأخذته نشوة الديمقراطية حتى وصلت إلى نخاشيشه كما حدث لأيمن نور، فسوف يكون نصيبه السجن سنوات خمسا، وياخدهم بشهادة كاملة مكملة من الشيخ خالد الجندي الحافظ لكتاب الله، (وعاوز تعترض اكفر بقى). أما لو أحببت أن يكون الشاهد ضد المنافس رئاسيا، كايمن نور، أكثر رتبة في الدين، فحينئذ سيكون الشاهد هو الشيخ علي جمعة، ولن يكون نصيبك كـ«كاتب فيه الصلاة» كما حدث مع المليارات، بل «وأحاديث أشخاص آخرين يعديين عن ذلك المكان، يلي ذلك أنهم يواصلون الارتفاع، حتى يروا كوكب الأرض من مكان مرتفع، بعدها يدخلون في نفق مظلم يعبرونه بسرعة، حتى يصلوا إلى ضوءٍ نوراني في آخره، وفي تلك الأثناء، يرون مشاهد من مراحل حياتهم المتلاحقة؛ من طفولتهم وشبابهم وكهولتهم، تتناوبه خلالها المآخوذ نفسها التي أحسّوها يوم وقعت تلك الأحداث، بل تتنوع مداركهم ليشعروا بما أحسّه الآخرون الذين شاركوهم تلك الأحداث، فيفهمها ردود أفعالهم ومشاعرهم؛ سعادة أو ألما، وحين يبلغون الكائن النوراني في آخر النفق، فإنه يغمرهم بمحبة غير مسبوقة إلى درجة أنهم لا يودّون بعدها العودة إلى الحياة الدنيا.

أما غير المتشابه في روايات من مرّوا بتجارب الاقتراب من الموت، فإن كل واحد منهم قد يتحدث عمّا يتطابق مع ثقافته أو قناعته الدينية، فالمسلم ربما يرى مسجداً في مكان جميل يجد نفسه فيه ويعتقد أنه الجنة، والمسيحي ربما يسمع ترانيم دينية، وهكذا. وهذه الفروق هي التي تدفع منكري القول إن هذه التجارب تروي أحداثاً حقيقية، للقول إنها مجرد ذكريات أو خيالات يعيشها المرء.

في المجتمع الطبي، ثمّة من يرون أن هذه التجارب حقيقية فعلاً، وأنها تؤكد وجود عالم ميتافيزيقي ينتقل إليه الميت، أبرزهم الطبيب النفسي الأميركي، رايموند مودي، صاحب كتاب «الحياة بعد الحياة» الصادر عام 1975، ونقل فيه تجارب عدد ممن مرّوا بتجربة الاقتراب من الموت. لكن أكثرية المجتمع الطبي يرون أن لمثل تلك التجارب تفسيرا مادياً، إذ يعتقدون أنها تحدث بسبب انخفاض الأكسجين الواصل إلى الدماغ، ما يؤدي إلى حدوث اختلال كيميائي بين فصّي الأيمن والأيسر، ولهذا يرى المرء أنه يعبر نفقاً مظلماً. والحال الذي يذهبون إليه أن هذه التجارب لا تؤكد وجود عالم ميتافيزيقي من عدمه، لأن الإنسان الذي يعيشها لا يذهب إلى الموت، وإنما يعيش اللحظات التي تسبق الموت لا أكثر، قبل أن يستعيد الحياة.

قال كثيرون ممن رووا مرورهم بهذه التجارب إن الكائن النوراني الذي يلاقيهم في آخر النفق يسألهم عن المحبة: «هل كنت محباً للآخرين؟»، وربما يقول لهم إنهم كانوا أناساً طيبين ومحبين للآخرين. ثمّة منهم من يجري تخييرهم بين العودة للحياة من عدمها، فيختارون العودة لرعاية أطفالهم أو أداء واجباتهم، وثمّة من يُقال لهم إن عليهم العودة، لأن ساعتهم لم تحن بعد، حتى لو اختاروا البقاء «هناك». في تجربة صائب عريقات، التي رواها عبر شاشة التلفزيون، وبدا مصدّقاً تماماً أنها تجربة في عالم آخر؛ ميتافيزيقي، تؤكد أن ثمّة حياة بعد الموت، أضاف إنهم «هناك» طلبوا منه أن لا يروي تفاصيل جرت معه، وشدّد غير مرة أمام المذيع الذي كان يحاول استنطاقه حول التفاصيل المتعلقة بعودته إلى الحياة، أنه لا يستطيع أن يجيب، لأن هذه أمور «ليس فيها لعب». اليوم، وقد رحل صائب عريقات عن الحياة الدنيا، فإنه يكون أعاد التجربة نفسها مرّة أخرى، بل ذهب إلى ما هو أبعد منها، لأنه هذه المرة لن يعود إلى الحياة، ولعله الآن في المكان الذي نصح من يستمعون إليه بالتيقّن من وجوده، وهو الحياة الآخرة بعد الموت. إنه بهذا المنطق لم يمت، وإنما انتقل إلى بستعيد الحياة.

التجارب إن الكائن النوراني الذي يلاقيهم في آخر النفق يسألهم عن المحبة: «هل كنت محباً للآخرين؟»، وربما يقول لهم إنهم كانوا أناساً طيبين ومحبين للآخرين. ثمّة منهم من يجري تخييرهم بين العودة لرعاية أطفالهم أو أداء واجباتهم، وثمّة من يُقال لهم إن عليهم العودة، لأن ساعتهم لم تحن بعد، حتى لو اختاروا البقاء «هناك». في تجربة صائب عريقات، التي رواها عبر شاشة التلفزيون، وبدا مصدّقاً تماماً أنها تجربة في عالم آخر؛ ميتافيزيقي، تؤكد أن ثمّة حياة بعد الموت، أضاف إنهم «هناك» طلبوا منه أن لا يروي تفاصيل جرت معه، وشدّد غير مرة أمام المذيع الذي كان يحاول استنطاقه حول التفاصيل المتعلقة بعودته إلى الحياة، أنه لا يستطيع أن

لعل في استذكار تجربة الاقتراب من الموت التي عاشها عريقات، ورواها للناس ناصحاً، ما يمثل تحية لروحه

بايدن والمسألة المصرية

تقادم الخطيب

تناولت مقالة سابقة لصاحب هذه السطور، نشرت عشية الانتخابات الرئاسية الأميركية، وتنبأت بنجاح المرشح الديمقراطي جو بايدن، «الانتخابات الأميركية: إلى أين يتجه النظام العالمي» (العربي الجديد، 2020/11/3)، تناولت انعكاسات ذلك على المنطقة العربية وأنظمتها. وتحاول هذه المقالة الحالية أن تتناول شكل العلاقة التي ستكون بين الإدارة الأميركية الجديدة والنظام المصري ومحدّداتها. وقبل الدخول في توصيف شكل هذه العلاقة وما ستكون عليه بين الطرفين، علينا أن نتفق على أمرين: أن الحليف الأساسي للأميركيين هو المؤسسة العسكرية المصرية، بغض النظر عن الرئيس الموجود في السلطة، وأن العلاقة المصرية الأميركية في الأساس ثلاثية، طرفها الثالث إسرائيل.

بعد إعلان فوز بايدن في الانتخابات الرئاسية الأميركية، غلق نشطاء سياسيون ومحللون عديدون آمالا كثيرة على هذا الفوز، وراوا أن بايدن سيطيح الرئيس المصري الحالي، عبد الفتاح السيسي، ويخرج المعتقلين ويعيد المنفيين من الخارج. ولكن الحقيقة أن هذا لن يحدث، أو بمعنى آخر، لن يكون بايدن قادرا على فعله، ولكن كيف سيتعاطى بايدن مع حدوث أي حراك شعبي في مصر إذا ما حدث مستقبلا، وهل سيستغل المصريون هذا التغيير في الإدارة الأميركية الجديدة؟ وسيكون هذا لو حدث مشروطا بموقف المؤسسة العسكرية، وهي الجهة الوحيدة الآن في مصر القادرة على إحداث التغيير وإطاحة الرئيس الحالي من السلطة لأنها هي التي أتت به.

معنى عودة الديمقراطي بايدن إلى البيت الأبيض أن خطاب حقوق الإنسان والدفاع عن الديمقراطية، أو ما يسمى نشر الديمقراطية، سيعود مجدّدا إلى أجندة الرئيس الأميركي بعدما توارى أربع سنوات من أجندة ترامب. وعودة خطاب حقوق الإنسان معناه أيضا عودة الانتقادات الغربية، وبقوة، لتدهور الوضع الإنساني في مصر، وبالتالي، فتح المجال أكثر أمام الحقوقيين والمنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان، لتمارس انتقاداتها بشكل أوسع، ولهذا دلالتان: الأولى انتهاء الغطاء السياسي الذي منحه ترامب للنظام المصري، ووصفه للرئيس المصري بأنه «ديكتاتوره المفضل»، ما كان بمثابة الضوء الأخضر في أن يمارس السيسي ما يحلو له من قمع وتنكيل بالمعارضين لحكمه. والآن، مع عودة خطاب حقوق الإنسان إلى أجندة الرئيس الأميركي المنتخب، وانكشاف الغطاء السياسي، فإن القمع لن يمر بسهولة كما كان يمر من قبل، وستكون له كلفة على الصعيدين، الدولي والمحلي.

وهنا قد يطرح سائل سؤالا: كيف هذا، وقد حدث الانقلاب العسكري والمجازر في عهد الإدارة الأميركية التي كان فيها بايدن نائبا للرئيس أوباما. صحيحٌ أن هذا الأمر قد حدث، لكن الوضع الإقليمي حينها كان مختلفا عما هو عليه الآن. كان الوضع الإقليمي أكثر تماسكا وكان للسعودية ثقلها الإقليمي الذي وضعته في مساندة الانقلاب، من خلال وجود الملك عبد الله على السلطة وما يمثله من ثقل دولي. في المقابل، كانت الجبهة الداخلية (أطياف المعارضة المدنية) متفقة في ما بينها ومتحالفة مع المؤسسة العسكرية في إطاحة الإخوان المسلمين من السلطة. ولم تكن مصر الإقليمية المرعبة، كما هو الوضع في إثيوبيا ومشكلة سد النهضة، والوضع المتدهور في سيناء، وتردّي الأوضاع في ليبيا، إلى جانب الأزمات الاقتصادية التي تضرب الاقتصاد المصري الذي

انتهاء الغطاء السياسي الذي منحه ترامب للنظام المصري، ووصفه السيسي بأنه ديكتاتوره المفضل

أصبح مثقلا بالديون. بمجرد أن كشفت بعض وسائل الإعلام عن تحقيق بايدن التقدّم في النتائج الأولية للانتخابات، بادر النظام إلى الإفراج عن بعض المعتقلين، وكأنها مبادرة إعلان حسن نيات، ودليل على أن النظام قد يبادر بتحسين الوضع المتعلق بحقوق الإنسان، والإفراج عن بعض المعتقلين. ولكن حتى لو فعل النظام المصري ذلك، هناك مسألتان لا بد من حلهما. تتعلق الأولى بعمل منظمات حقوق الإنسان في مصر، وقانون المنظمات الذي أصدره النظام، ومن خلاله استطاع تقييد الحركة الحقوقية، وعدم شرعنة أي عمل تقم ممارسته من خلاله، إلى جانب منع حقوقيين عديدين من السفر، وفرار بعضهم إلى المنفى. السؤال الآن: كيف سيتعاطى النظام المصري مع هذه المسألة؟

تبقى المسألة الأخرى، وهي معتقلي الإخوان المسلمين، وهو ما يطرح علاقة الإدارة الأميركية الجديدة بالإخوان المسلمين، وستكون هذه أكبر نقاط الخلاف بين النظام المصري والإدارة الأميركية. وهذا ما يجعلنا نفهم سبب الهجوم الذي قام به إعلام النظام ضد المرشح الديمقراطي بايدن، واتهامه بأنه حليف الإخوان، وأنهم يدعمونه.

ليست لدى بايدن أي تحفظات أيديولوجية في التعامل مع التيارات الإسلامية، خصوصا الإخوان المسلمين، وبالتالي الانفتاح والتحاور معهم. وهنا نتذكر الحوار الذي أقامته الإدارة الأميركية المتشددة الحالية مع حركة طالبان، ما ينبئ بدخول الإدارة الجديدة مع الإخوان المسلمين في حوار. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن إقامة حوار مع الإخوان المسلمين لا يعني أبدا السماح لهم بالصعود للسلطة في مصر، في ظل عدم حسمهم قضايا تتعلق بهوية الدولة، والأقليات، وما يسمى التجديد الإسلامي ومسألة الشريعة وعلاقتها بالدولة. وفتح قنوات حوار مع جماعة الإخوان المسلمين سيجعل من المستبعد أن تستجيب إدارة بايدن للضغوط التي قد يمارسها عليها النظام المصري، وحلفاء إقليميون له، لتصنيف الإخوان جماعة إرهابية، ولا سيما أن ترامب ذاته لم يتمكن من تنفيذ هذه الخطوة، على الرغم من حماسته لها، بسبب التعقيدات التي يمكن أن يتركها مثل هذا القرار على علاقات واشنطن بدول عربية وإسلامية، تشكل الحركات ذات الصبغة الإخوانية فيها مكونا اساسيا لا غنى عن التواصل معه، بالإضافة إلى التعقيدات المتعلقة بتأثير ذلك على المسلمين الأميركيين، وبعض مؤسسات المجتمع المدني الأميركية ذات الصبغة الإسلامية.

تبقى نقطة أخرى تتعلق بالانتخابات المصرية التي ستحدث في 2024. كيف ستتعاطى الإدارة الأميركية مع تلك الانتخابات، من حيث شكل المنافسة وسير العملية الانتخابية وغير ذلك. هذا سؤال ستجيب عنه السنوات المقبلة، من خلال السياسة التي ستتبعها إدارة بايدن مع النظام المصري.

(كاتب مصري في برلين)

كادَ لبنان أن يكون مستقبل الولايات المتحدة

دلال البزري

كل شيء في دونالد ترامب قرّبه من «النموذج» اللبناني. يغالي في الكذب، يتدفّق كذبه يوميا، على «تويتر»، على المنصّة، أمام الحشود. كلام فارغ واختلاق وافتراءات. يخترع وقائعه الخاصة، التاريخية أحياناً، لا يعرف معنى العيب، يتحسّس، لا يستحي ولا يحسّ. ولا يفتعل مواقف مشرّفة، لا تهمّه تلك المواقف، ليست من طبائعه ولا مزاجه. تنقصه الأناقة والوجاهة والأريحية. كريه، يداوم على الاعتداء بقبحه، عموده الفقري، قالبه، مسكوبٌ بقطع مرصوصة من الوحل، تجفّفها رمالٌ لا تتوقف عن الحركة. مريض بالنرجسية والوسواس. كانها جبناته. بركته وبركة جمهوره. موقع يبثّ في العالم الافتراضي أخباراً عن مؤامرات أعداء ترامب، كلها مزيفة، لكنها «موثّقة» بحسب أصحابها، ويتابعها ملايين من مؤيدي ترامب، لا يتابعون غيرها. تُقطة الالتقاء الأقوى بين ترامب ونحن هي الهوية. كثيرون لا يفهمون ذاك الثبات في قاعدة ترامب الشعبية، على الرغم من كل تجاوزاته، وأخرون يستقصون: السرّ هو الرجل الأبيض، غير المؤهّل لوظائف المشحون والمنقسم..

من جهتنا، كيف ينظر معظمنا إلى هذا التغيير؟ بعين الانقسام الوطني الداخلي إياه. إذا كان مع هذا المحور أو ذاك. مع الممانعة، أنت فرحان. وضدها، أنتَ زعلان. لماذا؟ لأن ترامب كان أشد عداءً لإيران من خصمه الديمقراطي الذي كان نائباً للرئيس الأميركي سنة توقيع الاتفاقية مع أميركا.. فيتنفّس «المنتصرون» الصعداء. صبرا «حتى الانتخابات»، ونالوا. لكن، إذا فاز ترامب لا تابى تمرير هزيمتها من دون رصاصة قناص، يتسلّى بضحيته، في طلقةٍ أخيرة، فكان قرار العقوبات الأميركي على جبران باسيل، صديق الممانعة غير الصدوق، فعودة بعض الروح إلى المعسكر المعادي للممانعة، وردّ عليهم بأن «الاستقواء بالخارج» سلوك العاجزين البليدين .. إلخ .. إلى بقية الأهازيج.

والحال أن فوز بايدن يستحق على الأقل ابتسامة من مواطني بلداننا. هل لن يقيم لجنة العدالة على الأرض (واين هي تلك اللجنة البرّية على كل حال؟)، سيحاول، كما كل السياسيين الديمقراطيين، أن يقول الحقيقة. بوجه متواضع، وخلفه امرأة «ملوّنة». أليس أقلّ وطأة علينا من رئيس أميركي وقح، يعتزّ بعنصريته أمام الديكتاتوريين، ومنهم ديكتاتوربونا، ويحثّهم على المزيد؟ وإلا فما البديل من بين المهيمنين على العالم؟ الصين التي يحكمها حزبٌ واحدٌ منذ سبعة عقود، وزعيم تدرج في هذا الحزب إلى الأعلى، منذ أكثر من عقد، شرع أبديته؟ أم روسيا، ويحكمها رجل مخابرات سابق، أي رجل «الدولة العميقة» للعهد السوفييتي البائد. يحكم منذ عشرين سنة، تارة مباشرة وتارة عبر رئيس وزراء من لزلامه الأوفياء؟ والذي يشتغل على دستور تابيد حكمه هو أيضاً؟ والاثنان يقتلان معارضيهما، بالرصاص أو بالسمّ أو الإخفاء؟ تخيّل لحظة واحدة، شخصية أخرى، من حزب آخر، غير هؤلاء الاثنين، تقود بلادها، أو مرشّحة لهذه القيادة .. هل يحصل ذلك إلا بعد موتهما؟

(كاتبة لبنانية)

كما في لبنان، يدوس ترامب على الدستور والقوانين، ويخرّب الخدمة العامة والهيئات المهنية والمستقلة

هذا الأخير واضحة عليها. افتعالات بالجملة، مخالفات، عراقيل، طعون بلا إثباتات.. تقابلها أعلى نسبة اقتراع، لم تشهدها أميركا منذ مائة سنة، على الرغم من الوباء، على الرغم من التقطيعات الانتخابية (يسمونها عندنا «قوانين انتخابية»)، على الرغم من الإرهاب في بعض صناديق الاقتراع (أضاف بعضهم «بالسلاح طبعا»)، على الرغم من الجو المشحون والمنقسم..

من جهتنا، كيف ينظر معظمنا إلى هذا التغيير؟ بعين الانقسام الوطني الداخلي إياه. إذا كان مع هذا المحور أو ذاك. مع الممانعة، أنت فرحان. وضدها، أنتَ زعلان. لماذا؟ لأن ترامب كان أشد عداءً لإيران من خصمه الديمقراطي الذي كان نائباً للرئيس الأميركي سنة توقيع الاتفاقية مع أميركا.. فيتنفّس «المنتصرون» الصعداء. صبرا «حتى الانتخابات»، ونالوا. لكن، إذا فاز ترامب لا تابى تمرير هزيمتها من دون رصاصة قناص، يتسلّى بضحيته، في طلقةٍ أخيرة، فكان قرار العقوبات الأميركي على جبران باسيل، صديق الممانعة غير الصدوق، فعودة بعض الروح إلى المعسكر المعادي للممانعة، وردّ عليهم بأن «الاستقواء بالخارج» سلوك العاجزين البليدين .. إلخ .. إلى بقية الأهازيج.

والحال أن فوز بايدن يستحق على الأقل ابتسامة من مواطني بلدانها. هل لن يقيم لجنة العدالة على الأرض (واين هي تلك اللجنة البرّية على كل حال؟)، سيحاول، كما كل السياسيين الديمقراطيين، أن يقول الحقيقة. بوجه متواضع، وخلفه امرأة «ملوّنة». أليس أقلّ وطأة علينا من رئيس أميركي وقح، يعتزّ بعنصريته أمام الديكتاتوريين، ومنهم ديكتاتوربونا، ويحثّهم على المزيد؟ وإلا فما البديل من بين المهيمنين على العالم؟ الصين التي يحكمها حزبٌ واحدٌ منذ سبعة عقود، وزعيم تدرج في هذا الحزب إلى الأعلى، منذ أكثر من عقد، شرع أبديته؟ أم روسيا، ويحكمها رجل مخابرات سابق، أي رجل «الدولة العميقة» للعهد السوفييتي البائد. يحكم منذ عشرين سنة، تارة مباشرة وتارة عبر رئيس وزراء من لزلامه الأوفياء؟ والذي يشتغل على دستور تابيد حكمه هو أيضاً؟ والاثنان يقتلان معارضيهما، بالرصاص أو بالسمّ أو الإخفاء؟ تخيّل لحظة واحدة، شخصية أخرى، من حزب آخر، غير هؤلاء الاثنين، تقود بلادها، أو مرشّحة لهذه القيادة .. هل يحصل ذلك إلا بعد موتهما؟

(كاتبة لبنانية)

ترامب والحريري في البيت الأبيض، يوليو 2017 (آلان غيسوت/Getty)

بعد نهاية ترامب... هل ينتهي الترامبيون العرب؟

ياسر أبو هلالة

لا توجد حقبة أسوأ على أمتنا من حقبة ترامب. ضرر الترامبية بالدرجة الأولى على الإنسان العربي، وليس على الإنسان الأميركي المحصّن عبر السنين بقوانين تكفل له كرامته وحريته وتؤمن له رفاهه واحتياجاته. في العالم العربي استغل المحتلون الصهاينة والطغاة العرب دعم ترامب لهم في ارتكاب فظاعات غير مسبوقة، ولم يتلقوا مقابل ذلك عبارة لوم، على العكس تمّ تأمين الدعم والحماية والرعاية لهم.

لم ينتظر الترامبيون الذين رعاهم وصنعهم انتهاء رقصة المذبوح، ترددوا قليلاً وتأخروا في تهنئة بايدن، لكنهم أذعنوا. الأقرب إليه كان الأسرع في الإذعان. سارع محمد دحلان، أقرب مستشاري محمد بن زايد، الذي كان له دور محوري في ترتيب إعلان التحالف الاستراتيجي بين الإمارات وإسرائيل إلى الانقلاب على صفقة العصر التي كان أحد عرابيها، ومنّي نفسه بوراثة محمود عباس حيّاً، وأعاد إحياء الخطاب التقليدي لعملية السلام وحلّ الدولتين، واستنفرت جيوش الذباب الإلكتروني في نشر صور محمد بن زايد مع بايدن. تتجلى الترامبية في الإمارات التي دعمت وصول ترامب من خلال لقاء سيشل مع الروس الذي نظمه جورج نادر، مستشار محمد بن زايد الذي اعتُقل بتهم اغتصاب أطفال، وتمكنت الترامبية من إيصال محمد بن سلمان إلى الحكم، وأعادت تأهيل بشار الأسد، ووصل الأمر إلى ترتيب اتصال بين ترامب ومجرم الحرب خليفة حفتر، ودعم الإرهابيين التكفيريين في اليمن مثل ابن بريك وأبو العباس. صحيح أن الثورة المضادة بدأت قبل وصول ترامب إلى السلطة، لكنها لم تأخذ دعماً وشرعية إلا برعايته ودعمه.

في مصر بادر «الدكتاتور المفضل» إلى إطلاق نحو 400 معتقل، منهم أقارب محمد سلطان، أبرز الناشطين المصريين الأميركيين، مع أنه سبق أن تبرع لحملة ترامب الأولى بعشرة ملايين دولار، وكان جزءاً من صفقة القرن، وبارك التحالف الاستراتيجي الإماراتي الإسرائيلي. وتمكن الترامبي السيسي من مواصلة مساره الدموي بدعم ترامب، إلى درجة اغتيال الرئيس المنتخب محمد مرسي بالإهمال الطبي، كما مئات المعتقلين، ولم يترك صحافياً ناقداً ولا معارضاً إلا اعتقله.

في السعودية الوضع أصعب، فترامب هو من أوصل، على خالف المؤسسة الأميركية، محمد بن سلمان إلى السلطة، وهو من حافظ على بقائه في ظل كل الحماقات التي ارتكبها، ولم يتردد في القول إنه حمى «مؤخرته»، ووضعه هو الأصعب في ظل تورطه في حرب اليمن والمحاكم التي تنتظره بسبب محاولة اغتيال الجبري واختراق التويتر واغتيال جمال خاشقجي. الترامبية مثل النازية ظاهرة عابرة للحدود، وهي شعبوية لها جمهور عريض من العنصريين والجشعين والانتهازيين والجهلة، صحيح أن بايدن حصل على أعلى الأصوات في تاريخ أميركا، لكنه واجه عدواً شرساً لا يزال يصارع رغم خسارته، لم تكن معركة سهلة، لقد حصل على سبعين مليون صوت، من صوتوا له جلهم لا يعون خطورة الترامبية، ولا يدرون ما فعلته بنا. صوتوا لمن يخفف الضرائب عنهم ويشجع الشركات، لمن يوفر فرص العمل من خلال المواجهة مع الصين وشركاتها. متدينون إنجيليون يعلمون سفالته وبعده عن الدين، لكن يتبنى أجندتهم ومصالحهم. محافظون يستغفرهم يسار الحزب الديموقراطي. صحيح أن أكثرية المسلمين صوتوا ضده، لكن ثمة نحو 30 بالمئة صوتوا معه، منهم سوريون وعراقيون يعتقدون أنه سيحارب إيران، منهم محافظون يعتقدون أنه سيحارب المثلية والإجهاض، منهم رجال أعمال ضاقوا بالأجندة الاجتماعية للحزب الديموقراطي التي تقربه من اليسار. بالجمل، بحسن نية أو بسوئها، تظل هذه روافد للظاهرة الخطيرة.

الترامبية، هي الظاهرة «الأسوأ، وغيرها أقل سوءاً منها»، تماماً كما أن «الديموقراطية سيئة، لكن غيرها أسوأ منها»، على قول تشرشل.

دروس الانتخابات الأميركية

محمد أحمد بنّيس

لم تكن الانتخابات الأميركية التي انتظمت أخيرا مجرّد اقتراع رئاسي يجري في موعده، بقدر ما كانت اختباراً عسيرا لمدى قدرة الديمقراطية الأميركية على مجابهة التحدّيات التي تواجهها في ظل اتساع القاعدة الاجتماعية والسياسية للميمين الأميركي المتطرّف.

تقدّم هذه الانتخابات دروسا في هذا الصدد، أبرزها أن قيام الدول على مؤسسات ديمقراطية راسخة لا يعني أنها باتت محصّنة في مواجهة الإيديولوجيات المعادية للديمقراطية والتعدّدية. ولنا في التجربة النازية أبلغ مثال على ذلك؛ فقد استغل أدولف هتلر مؤسسات النظام الديمقراطي لجمهورية فيمار ومواردها، ليصل إلى السلطة، قبل أن ينقلب على هذا النظام، ويُحوّل ألمانيا إلى دولة استبدادية حكمها بيد من حديد، ثم زجّها في أتون حربٍ كونية مدمرة.

تؤكد هذه الانتخابات أن النزعات السلطوية واليمينية والشعبوية تظل مصدر تهديد للديمقراطيات الليبرالية، بما تمتلكه من موارد سياسية واجتماعية وتنظيمية، تساعدها على تأجيج مشاعر الكراهية والعنصرية تجاه الأجانب والمهاجرين والأقليات. وقد نجح دونالد ترامب، خلال السنوات الأربع الماضية، في بناء عقيدة سياسيةٍ تكرّس نزعة عرقية بيضاء، وترى في السود واللاتينيين والآسيويين والمسلمين مصالحها العابرة للحدود، سيما أن مؤشّرات ديموغرافية تدل على تقلص نسبة السكان البيض، مقارنة بالتزايد الملحوظ في نسب الأقليات الأخرى.

وهو الأمر الذي قد يربك بعض الخلاصات السوسيولوجية بشأن الانقسامات التي يشهدها المجتمع الأميركي والمجتمعات الغربية بوجه عام؛ فإذا كان من المسلّم به أن التمايزات الأفقية (ثقافية، مهنية، اقتصادية...) تُعدّ مصدرا رئيسا للتقاطبات الاجتماعية والسياسية التي تطبع المجتمعات الحديثة، وفي مقدمتها المجتمع الأميركي الذي، عادة ما يُعرَّف بأنه مجتمعٌ ينبني على الكفاءة والإنجاز مصدرين للنجاح الفردي، فإن الاقتراع الرئاسي يعيد إلى الواجهة هذه الخلاصات، وإنْ على استحياء، فرفضُ ترامب التسليم بهزيمته يعزّز الانقسام العمودي الذي بدا أن المجتمع الأميركي قد تخلص منه في العقود الأربعة المنصرمة، بعد الارتجاج الذي أحدثته حركة الحقوق المدنية في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته.

وقد جاءت واقعة مقتل المواطن الأسود، جورج فلويد، لتميط اللثام عن الأزمة العميقة التي يعرفها هذا المجتمع على أكثر من صعيد، فهناك نخبة بيضاء لا تنظر بعين الرضا إلى التحولات الآفقية داخل هذا المجتمع، وترى في الصعود الاجتماعي والسياسي والثقافي للأقليات الأخرى عائقا أمام استمرار هيمنتها السياسية... كانت هذه النخبة بحاجة إلى خطاب سياسي يستجيب لنزعتها اليمينية والسلطوية، ويحفظ هويتها المهدّدة، ويُكسبها ملامح قوة اجتماعية متجانسة. وقد نجحت «الترامبية» في ذلك إلى حد كبير، بعد أن غدت عنوانا لهذه الهوية، وأفقا مستقبليا لها. ولم يكن الأمر بعيدا عما يحدث على الجانب الآخر من الأطلسي، بعد أن صار اليمين الشعبوي رقما أساسيا في معادلة الصراع السياسي في أكثر من بلد أوروبي.

على صعيد آخر، يكرس سل

هل أطاحت «الدولة العميقة» ترامب؟

حلمي الأسمر

كتب رئيس الوزراء البريطاني بنجامين دزرائيلي، في عام 1844، أن العالم محكوم بأشخاص مختلفين اختلافاً شديداً عمّا يتخيلهم الناس الذين لا يعلمون بواطن الأمور، وهذا يعني أنهم ليسوا الملوك أو وزراءهم. وتساءل: مَن هم أولئك الحكام؟ أجاب: هذا سرّ ينبغي معرفته حتى نستطيع السيطرة عليهم ونفرض السلام على العالم. غير أن أحداً، منذ ذلك الحين وإلى مدى غير منظور، لم يشفِ غليل أحد، لا بفكّ السر، ولا بفرض السيطرة عليهم.

يسمي بعضهم هؤلاء «حكومة الظل» أو «الحكومة الخفية» أو «الدولة الموازية»، غير أن مصطلح «الدولة العميقة» هو الآن الأكثر تداولاً، تعبيراً عن هذا «الشيء» الذي يقرّر ماذا يحدث غداً على الكرة الأرضية. وكما أن هذه الكرة مقسّمة إلى دول، ثمّة دولة عميقة في كل دولة، ويبدو أنها تدين بالولاء، إلى حد كبير، للدولة العميقة «العظمى» التي تتحكّم بمصائر بقية الدول، العميق منها والسطحي، إن جاز التعبير.

قد يبدو هذا الكلام أقرب إلى الاستلاب لعقلية المؤامرة، وقد يبدو ضرباً من الخيال، لكن ما يحدث «تحت السطح» عادة يشبه ما يحدث في باطن البحر، فيما يبدو سطحه هادئاً، وحتى «رومانسياً»، وفيما تدور في الأعماق رحى حياة زاخرة بالصراع والعنف.

يقال إن أول من تحدث عن «الحكومة الخفية» هو الرئيس الأميركي الأسبق، ثيودور روزفلت، حين حذّر من هيمنة شبكات مالية على سياسة بلاده. وقبل ذلك، في القرن التاسع عشر، تحدّث الزعيم الألماني بسمارك عن وجود قوى غير مرئية تدير دفّة العالم، أطلق عليها «جماعة ما لا يسبر غوره»، ثم جاء دزرائيلي فقال ما قاله. أما مصطلح «الدولة العميقة»، فوفق أكثر من مصدر، يقال إنه نشأ في تركيا في تسعينيات القرن الماضي، للتعبير عن شبكاتٍ من المجموعات وضباط القوات المسلحة الذين أخذوا على عاتقهم حماية علمانية الدولة التركية، بعد قيامها على يد مصطفى كمال أتاتورك، ومحاربة أي حركة أو فكر أو حزب أو حكومة تهدّد مبادئ الدولة التركية العلمانية. وكان ذلك أول تعريف وظهور لمفهوم الدولة العميقة، ثم ظهر المصطلح بتعريفاتٍ مشابهةٍ في الولايات المتحدة مع إنشاء الوكالة المركزية للاستخبارات الأميركية. وفهم ضمناً أن الدولة العميقة تتمثل بشبكات السلطة السياسية في واشنطن والسلطة الاقتصادية والمالية في «وول ستريت»، التي تعمل على حماية مجموعة من شبكات المصالح المختلفة، وقد نشرت مجلة «سياسات عربية»، التي تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دراسة لافتة عن «الدولة العميقة» لأستاذ علم السياسة وشؤون الحكم، في جامعة بوجت ساوند، باتريك أونيل، وكانت بعنوان «الدولة العميقة: المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن» (العدد 30 - كانون الثاني/ يناير 2018).

ويبدو أن الرئيس الأميركي الموشك على مغادرة البيت الأبيض (إن فعلها طواعية!) بعد فوز جو بايدن، في الانتخابات الأميركية الأكثر دراماتيكية في العصر الحديث، هو الرئيس الأميركي الأول الذي استخدم مصطلح «الدولة العميقة»، والأول، في حدود ما يسمح بنشره في وسائل الإعلام، الذي اشتبك مع أذرع هذه الدولة، حتى إنه اتهمها قبل أشهرعبر تغريدة على «تويتر» (المنصة الأثيرة لديه) بأنها تؤخر إعلان التوصل إلى علاج أو لقاح فعال لفيروس كورونا وكوفيد - 19 إلى ما بعد الانتخابات، حيث جاء في التغريدة ما نصه: «الدولة العميقة، أو أي شخص آخر، في إدارة الغذاء والدواء الأميركية، يجعل من الصعب جداً على شركات الأدوية إيجاد أشخاص لإجراء اختبار اللقاحات والعلاجات عليهم. من الواضح أنهم يأملون تأخير العلاج إلى ما بعد 3 نوفمبر (موعد الانتخابات الرئاسية)».

> ما يحدث «تحت السطح» عادة يشبه ما يحدث في باطن البحر، فيما يبدو سطحه هادئاً

ويبدو أن هذا ما حصل فعلاً، فبعد وقت قصير من إعلان فوز بايدن، وهزيمة ترامب، نشرت صحيفة نيويورك تايمز، يوم 9 شهر نوفمبر/ تشرين الثاني الجاري، خبراً تناقلته كل وسائل الإعلام، تضمن إعلان شركتي فايزر (Pfizer) وبيونتيك» (BioNTech) أن اللقاح ضد فيروس كورونا الجديد، الذي تعملان على تطويره، «فعّال بنسبة 90%»، بعد التحليل الأولي لنتائج المرحلة الثالثة من التجارب السريرية، وهي الأخيرة قبل تقديم طلب ترخيصه! وأصدرت شركة فايزر (طوّرت اللقاح مع شركة الأدوية الألمانية بيونتيك) تفاصيل قليلة فقط عن تجربتها السريرية، بناءً على المراجعة الرسمية الأولي للبيانات من لجنة خارجية من الخبراء، وفقاً لما ذكرته الصحيفة. هذا الحدث الكبير واحد فقط (لكنه كان حاسماً كما يبدو) من تجليات الصراع بين ترامب والدولة العميقة. وفي وسع المرء أن يحصي تغريداتٍ كثيرة للرئيس المهزوم، تتحدث بصراحة عن خلافه مع قوى الدولة العميقة التي جاءت به، كما تجيء بغيره، وتصرفهم كما صرفته، عبر حزمةٍ متنوعةٍ من أذرع القوة الناعمة والخشنة، يصعب التفصيل في الحديث عنها في هذه العجالة! هل أطاحت الدولة العميقة ترامب؟ يبدو السؤال منطقياً، وجوابه على الأغلب «نعم»، حيث يبدو أن دور الرجل انتهى، ولم يعد يلبي مصالح هذه الدولة، بل ربما غدا عبئاً عليها، ومكلفاً أكثر مما يحتمل. والسؤال الآن: هل حسم الصراع لمصلحة الدولة العميقة، أم أن «البطّة العرجاء» (مصطلح يطلق على الرئيس في الأيام الـ 77 الأخيرة من حكمه التالية للانتخابات) لن تسلّم بالهزيمة، و«ستقاتل حتى النهاية»، كما أشار السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام، المقرّب من الرئيس، في تصريح لوسائل الإعلام الأميركية، بعد محادثة هاتفية طويلة مع «الرئيس»؟

(كاتب من الأردن)

العنف، كل ما تبقى لنا؟

راتب شعبو

تستدعي عمليات الانتقام العنيف والهيجان الشعبي الإسلامي الذي نلحظه حيال «إهانات» أوروبية للإسلام السؤال عن الحساسية الإسلامية العالية تجاه أوروبا. لا نلاحظ ردّات فعل إسلامية تذكر حيال إهانات أكبر وأعمق ترتكب بحق الإسلام والمسلمين في غير مكان من العالم، بما في ذلك على يد مسلمين، كما كان الحال مثلاً في إقليم دارفور السوداني، حيث كان يجري تمزيق القرآن على يد مليشيات الجنجويد وقتل الأطفال والشيوخ داخل المساجد. أو في سورية، حين كان شبيحة النظام يجبرون الناس على الركوع لصورة رئيسهم. وقعُ أي «استهانة أوروبية» بالإسلام يكون شديد الأثر على نفوس المسلمين، قياساً على ما يتعرّض له الإسلام والمسلمون من إهانات وإجرام من أي مصدر آخر.

للذاكرة الإسلامية المشتركة حضور في هذه الحساسية تجاه أوروبا، تمتد من الغزوات الصليبية إلى الاستعمار الأوروبي الحديث. أوروبا هي تجسيد الآخر المنتصر الذي تمكّن من توطين قبس الحضارة الإسلامية، حين راح هذا القبس يخبو في ديار الإسلام. يمكن أن تكون أوروبا إذن مرآة هزيمة المسلمين وتأخرهم. أوروبا هي «آخر» في نظر المسلمين، لأنها غير مسلمة، الأمر الذي يجعل تفوقها الحضاري ثقيلاً على قلوب أصحاب الحضارة الغابرة الذين لا يجدون لراحة نفوسهم سوى استحضار ذكرى تلك الحضارة بالأشكال والأزياء واللغة والأسماء، ثم لا يجدون من وسيلةٍ لإثبات حضورهم العالمي سوى العنف الصادم في الاستهداف وفي الطريقة.

من الصعب عزل عمليات القتل التي شهدتها دول أوروبية، أخيرا، عن سياق «صحوة عنفية» إسلامية بلغت حد تشكيل دولة خلافة إسلامية استطاعت أن تهزم جيوشاً، وأن تلغي حدوداً سياسية. وقد تطلبت هزيمتها تشكيل تحالفٍ دوليٍّ بقيادة الولايات المتحدة ضم 82 دولة، وعمليات جوية وبرية استغرقت حوالي خمس سنوات (من منتصف العام 2014 حتى ربيع 2019)، فيما لم تستغرق هزيمة الجيش العراقي إبّان صدام حسين (هناك من صنفه رابع أكبر جيش في العالم) أكثر من ثلاثة أسابيع.

لا تفتقد إلى السند التحليلات التي تعتبر أن أيادي عدة ساهمت في صعود تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، أميركية وأخرى إقليمية وعربية (كل لغاياته)، وأن نظام نوري المالكي في العراق وبشار الأسد في سورية مهّدا أيضاً لهذا الصعود لغاياتهما الخاصة. مع ذلك، لا محيد عن رؤية كفاحية مقاتلي «داعش» واستبسالهم. وراء هذا القدر من التماسك وكذا المستوى الرهيب من الوحشية الذي أظهره التنظيم، توجد قضية وحدت مقاتليها وشدّت أنصارها وجمهورها إلى حد التغاضي عن مستوى الاستعراض الإجرامي الذي ثابر عليه التنظيم. القضية التي وحدت مقاتلي «داعش»، وشكلت تبريره الوجودي هي الدفاع عن الإسلام (الإسلام السني تحديدا)، واستعادة مكانته ودوره. توجد قناعة بأن هذه المهمة تجسّد التكليف الإلهي الأسمى. يحتشد وراء هذه القضية كل القهر التاريخي المتراكم في قلوب المسلمين الذين سرعان ما يتخيلون أسلافهم الكبار (سادة العالم السابقين) يحثّونهم على «الصحوة» واستعادة الدور. لا ينتظر الأنصار هنا شرحاً لمعنى الإسلام المقصود، «الصحوة العنفية» تستدعي النسخة الأكثر جذرية والأكثر صداميةً في الإسلام. سوف يبدو، على هذا، أنه ينبغي التخلص من كل نسخ الإسلام التي توصف بالاعتدال والتسامح. لهذا كانت جاذبية «داعش» وكان العدد الأكبر من ضحايا «داعش» هم من المسلمين، ضمن معركة توحيد «الإسلامات» في إسلام جهادي واحد يضع نفسه في مواجهة عالم كافر يتجسّد في الغرب.

تبدو العمليات التي حدثت أخيرا في فرنسا وفي النمسا نموذجاً من النشاط «الداعشي»، حتى لو كانت عمليات مستقلة لا صلة لها بالتنظيم، قام بها أشخاص مستقلون ذاتيو التطرّف الإسلامي (self-radicalized). المبدأ هو إحداث الصدمة في وسط «العدو» بواسطة العنف الذي هو كل ما تبقى لمن يتمرّقون بين ما يتصورونه مكانة عليا حباهم بها الله، بوصفهم مسلمين، وحقيقة هامشيتهم في عالم «غربي» تجاوزهم، وتجرأ على حقوقهم ولا يقيم لهم وزناً.

> تبدو العمليات التي حدثت أخيراً في فرنسا وفي النمسا نموذجاً من النشاط «الداعشي»

العمليات المذكورة مجرد انتقامات، أو انفعالات عنيفة للتعبير عن الغضب وعدم الرضى، سيما أنها تستهدف غالباً ضحايا مغفلين، يسهل قتلهم حتى بالسلاح الأبيض، غير أن هذه الأفعال تتصل في العمق مع نسق شعوري مكنون لدى جمهور واسع من المسلمين، يستبطن معاقبة المنتصر حضارياً، والذي لا نستطيع مجاراته.

على الصعيد الديني الإسلامي الرسمي، تدان الجريمة، ويُطالب بعدم تكرار الاستفزاز. وعلى الصعيد الشعبي تخرج مظاهرات غاضبة ضد «إهانة» الإسلام مع تجاهل الجريمة. على الصعيدين المذكورين، يوجد ألم وجداني «تراجيدي» بين ما يمليه الحس السليم والأخلاق العامة من رفض للقتل الذي يستهدف مدنيين وشعور خفي بالراحة من فعل الشباب «الغيورين» الذين يجرحون «الغرب» الذي هزم الإسلام. بين رفض الجريمة والرضى عنها، يعيش مسلمون كثيرون ألماً وجدانياً، يعزّزه واقع هزيمتهم وتأخرهم الثقيل.

استهداف الغرب دون غيره من مصادر الإساءة للإسلام والمسلمين، على الرغم من فداحة الإساءات الموجهة إلى الإسلام والمسلمين في غير مكان، يعني أن الموضوع ليس دينياً بحصر المعنى، وأن لهذه العمليات دافعا مركبا، فهو أولاً حساسية المسلمين لصورتهم في عيون الغرب «المنتصر» تجعل الاستهانة الأوروبية مؤلمة (نلاحظ مقدار احتفاء المسلمين بتحول مسيحي أوروبي إلى الإسلام، الشيء الذي لن نجده عند تحول شخص أفريقي مثلاً). وثانياً العداء المستبطن للغرب الذي استحوذ على الحضارة وفكك إمبراطورية الإسلام واستعمر بلدان المسلمين.

تبدو هذه العمليات بديلاً عن الطريق الشاق، ولكن المجدي، المتمثل في التخلص من عقدة المهزوم عبر الانخراط في مجالات التحويل السياسي العقلاني والتشاركي ومجالات العمل والعلم والبناء. قد يخفف هذا النوع من العنف عن الذات المهزومة والمهمّشة، ولكنه عقيم ومدمر للذات في علاقتها مع نفسها وعلاقتها مع الآخر.

(كاتب سوري في فرنسا)

بادرة ومنوال تنمية جديد في تونس

محمد أحمد القابسي

بعد نيلها ثقة مجلس النواب في 2 سبتمبر/ أيلول الماضي، واجهت الحكومة التونسية، برئاسة هشام المشيشي، ترسانة تحدّيات شكّلت أزمات اقتصادية واجتماعية، انعكست سلبا على صورة الدولة ومجمل الفاعلين السياسيين من حكومة وبرلمان وأحزاب ومنظمات. والتزم المشيشي، في خطاب عرْضه برنامج حكومته لنيل الثقة، بأن حكومته ستعمل جادّة على إيجاد الحلول المناسبة لهذه الأزمات الموروثة، والتي لم تكن للحكومته الجديدة يد فيها، ولكنها في الوقت نفسه ملزمة بمجابهتها، تبعا لثقافة استمرارية الدولة ومقتضيات مؤسساتها وحفظا لاعتبارها وهيبتها.

وكانت أولوية الأولويات وكبرى الأزمات تلك التي تعلقت بملف الطاقة وإعادة الإنتاج في قطاع حيوي، هو قطاع البترول، الذي يوفر جانبا مهما من الموارد التي تحتاجها الدولة في ظرف استثنائي، اشتدت فيها الأزمة الاجتماعية أمام انحسار موارد الدولة الأساسية وتداعيات جائحة كورونا. وتوقع المتابعون أنه سيكون لحكومة المشيشي، في سعيها إلى النجاح في إعادة نسق الإنتاج في مادة البترول، كسب شعبي وسياسي هام، يعيد بسط يد الدولة على مصادر مواردها الحيوية وإدارتها.

وتقع حقول النفط ومؤسسات إنتاجه في محافظة تطاوين في الجنوب الشرقي للبلاد التونسية، وأساساً في منطقة «الكامور»، وهي محافظة متاخمة للحدود الليبية، ولسكانها علاقات تاريخية اقتصادية وتجارية واجتماعية عريقة بالقطر الليبي، وهم يستفيدون من الإمكانات التي كانت تتيحها ليبيا. وقد أثر الوضع العام الذي تمر به الجارة القريبة سلبا على الوضع الاقتصادي بهذه الجهة، وخصوصا مناطقها الحدودية المباشرة، بسبب رجوع أعداد مهمة من العمالة التونسية المشتغلة سابقا في ليبيا، وتراجع حاد في فرص العمل، إثر غلق الحدود بين البلدين، وحملات مقاومة التهريب، وخصوصا مع تفشي فيروس كوفيد 19، وتوقف تنقل الأشخاص والتبادل التجاري النظامي عبر المعبر الحدودي «ذهيبة وازن». وقد أدى هذا الوضع إلى تراجع الدور الاقتصادي للجهة والمناطق الحدودية وإشعاعها في محيطيها، الإقليمي والوطني، بسبب تقلص «التجارة الموازية» التي كانت مورد رزق لآلاف المواطنين التونسيين.

فجّرت هذه الأسباب وغيرها حركة احتجاجية دارت أحداثها في منطقة الكامور البترولية في يونيو/ حزيران 2017، مطالبة بالتنمية والتشغيل والتوزيع العادل للثروات الطبيعية. وقد اعتصم شباب المنطقة في المسلك الفرعي للكامور الذي تعتمده شركات التنقيب لتزويد المحطات ونقل البترول نحو ميناء جرجيس البحري، وانضمت إليهم مجموعة من نشطاء المجتمع المدني المساندين للتحرّك. وقد دعمت عدة شخصيات وأحزاب هذا التحرّك، على غرار حزب حراك تونس الإرادة، وحركة النهضة وآفاق تونس والجبهة الشعبيّة.. وفي 24 يوليو/ تموز، أغلق المحتجّون محطة ضخّ البترول «كعملية تصعيديّة لتحرّكاتهم الاحتجاجية السلمية بعد عدم استجابة الحكومات السابقة لمطالبهم وعدم الإيفاء بوعودها». ما أدى إلى زيادة الاحتقان الشعبي، وعمّق الأزمة الاقتصادية العامة، خصوصا مع تفاقم العجز التجاري واختلال ميزان الدفوعات، وتفجر جدل في الفضاء العام ووسائل الإعلام بشأن هيبة الدولة، وضرورة تدخلها لفرض النظام وإعادة فتح محطة الضخ.

أمام هذا الوضع، اعتمدت حكومة المشيشي مقاربة مختلفة عن الحكومات السابقة، تتمثل في إيفاد فريق حكومي للتفاوض مع المحتجين، يترأسه مستشار وزير الشؤون الاجتماعية، حيث انطلقت المفاوضات على المكان، مستفيدة من خبرة الوزير محمد الطرابلسي، النقابي والخبير في مجال الشغل والعلاقات المهنية، والذي عايش نشأة هذه الأزمة منذ 2017. وضم الفريق خبراء وجامعيين مختصين في التنمية، ومندوبين عن المنظمات الوطنية ونواب مجلس الشعب، لقيادة حوار استمر شهرا، أثمر اتفاقا شاملا أنهى هذه الأزمة، وأعاد تشغيل محطة الضخ، من أهم نقاطه ضمان تشغيل 1500 من أبناء الجهة في الشركات البترولية، وإحداث مواطن شغل بشركات البيئية، وتخصيص 80 مليون دينار لصندوق تنمية الجهة.

> يمكن اعتبار اتفاق الكامور خطوة جيدة، أسهمت في تحقيق المعادلة التنموية بين الجهات الميسورة والجهات الأقل حظاً

وفي قراءة لرمزية هذا الاتفاق، يمكن اعتباره مؤسسا لنموذج جديد في حل الأزمات والمطالب الاجتماعية وإدارتها، والتعاطي مع الحراك الاجتماعي الاحتجاجي، عبر الحوار، وذلك بتحديد متطلبات كل جهة وأولوياتها، ضمن تصور غير مسقط ينبع من الجهة نفسها. وستعزز تجربة الكامور هذه حظوظ استنساخها، لا في الجهات التي تعيش على وقع إغلاق الإنتاج وتعطيله فحسب، بل في مختلف الجهات، إذ اعتبرها ملاحظون «تأسيسا لمسار تشاركي لتحديد الأولويات التنموية، وأدوار كل طرف فيها، الدولة والمجتمع المدني والمؤسسات والأفراد».

ما اكتسبته حكومة المشيشي من هذه التجربة امتلاكها مقاربة تهدف إلى إيجاد ثروة فعلية وتصور لكيفية توزيعها بشكل عادل. مقاربة تقوم على إعادة استثمار جزء من الثروة التي تنتجها الجهة وتدويره. ولا يقتصر ذلك على البترول والفوسفات، بل على مختلف الموارد الطبيعية. وفي قراءة سياسية استراتيجية، يمكن اعتبار هذه التجربة تأسيسا للقطع مع منطق الدولة المركزية التي تحتكر الفضاء العام والثروة، وتحول بيروقراطيتها التقليدية دون تحقيق التنمية في الجهات المحرومة. وينتظر في هذا السياق، وهذا ما أعلنت عنه الحكومة، تعميم التجربة منوالا تنمويا جديدا مختلفا، ينبع من الحاجيات الأساسية لكل جهة وأولوياتها والفرص التي تزخر بها.

(كاتب تونسي)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ سكرتير التحرير **حكيم عنكر** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads